كلمة جميلة

تبلغنا من استاذ سيدنا ايده الله ورئيس ديوانه الملكي الخاص العالم العامل سيدي محمد معمري بهاته السطور ننشرها شاكرين

عثرت في مطالعتي لتاريخ تركيا للكاتب المشهور لامارتين على اسطر تتعلق بصاحب الشريعة السمحاء عليه الصلاة والسلام لا اقول انني تعجبت من صدور مثلها من رجل اشتهر باخلاقه العجيبة وانصافه الكلي واعطائه التاريخ كل حقه بل استلفت نظري تنبهه الغريب لمزايا الديانة الاسلامية تلك المزايا التي يغفل عنها كثير من علمائنا وبالاحرى غيرهم فظهر لي ان اعربها راجياً من اخوتكم ادراجها في مجلة المغرب التي نزهو بها كما نرجو ان يزهو بها تاريخ المغرب في عصرنا.

(تعريب ما ختم به لامارتين تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم قال في ص ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ من الجزء الاول من كتابه تاريخ تركيا)

هذه حياة محمد هذه رسالته وهذه وفاته ما حاول قط بشر بمحض اختياره ولا مسوقاً للقدر ادراك قصد أعلى من ذلك القصد الذي لاتطيقه القوى البشرية وهو نسف ما تعرض بين المخلوق والخالق من الاعتقادات الباطلة ورد العبد لخالقه والخالق لمخلوقاته وتجديد حقيقة الباري موافقة للعقل ومقدسة كما يجب لها ان تكون في وسط ظلمات المعبودات الباطلة التي نصبها الشرك ؛ لم يحاول قط فرد من البشر مع قلة ما بيده من الوسائل عملا مثل ذلك العمل الذي لا تنهض به القوة البشرية اذ لم يكن له في تصور ذلك الفكر العجيب السامي وفي ابرازه الى الوجود عامل غير نفسه ولامعين سوى شرذمة من المتوحشين المنزوين في القفار ولم يحدث انسان قط اسرع منه ولا مثله ثورة اعظم ولا اثبت مما اسسه اذ في اقل من قرنين بعد مبعثه عم الاسلام بالتبشير والسلاح سائر انحاء جزيرة العرب وفتح لتوحيد الله كل بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر والهند الغربية وسوريا ومصر والحبش وكل ما يعرف من شمال افريقية وعدداً كثيراً من جزر البحر المتوسط واسبانيا وجزءاً من فرنسا .

اذا كان عظم القصد وقلة العدة وعظمة النتائج مقياساً لعبقرية الرجال فمن يتجاسر على تشبيه اي رجل من رجال التاريخ الجديد بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فان اشهرهم لم يحركوا الا سلاحاً وقوانين وممالك ولم يؤسسوا ان كانوا اسسوا شيئاً يذكر الا بعض قوات مادية كثيراً ما انخربت قبلهم اما هو (صلى الله عليه وسلم) فقد حرك جنوداً وشرائع وممالك وامماً ودولا وملايين من الرجال على اكثر من ثلث المعمور وحرك زيادة على ذلك كله معابد ومعبودات واديانا وافكاراً ومعتقدات وارواحاً واسس على كتاب صار كل حرف من حروفه قانوناً وطنية روحية تشمل كل الامم وكل الالسنة وعامة الاجناس وطبع هذه الوطنية الاسلامية بطابع كله بغض المعبودات الباطلة والتفاني في حب الله الواحد الغير المادي فكانت تلك الوطنية التي اثارت للخالق من ترهات الشرك مزية اتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) كما كان اذعان ثلث المعمور لدينه معجزته العظمى ولنا ان نقول ان ذلك لم يكن معجزة لشخص بل معجزة للعقل ولقد كان لفكرة توحيد الله التي اعلن بها بعد فشل الاعتقادات الخرافية قوة ذاتية انحرق بها بمجرد بروزها على شفتيه كل هيكل من معابد الاصنام القديمة واشرقت بنورها انحاء ثلث المعمور .

محمد معمري الزواوي